﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾

[الأعراف: 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تأكيدُ حلولِ العذابِ عليهم وقتَ النّشاطِ والحركة

لَمّا كانَ رُبَّما قالَ جاهِلٌ: لَو جاءَهم، وهم أيقاظٌ، لَأمكَنَ أن يُدافِعوا؛ قالَ: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾[1]، وفيه تأكيدُ الإنذارِ في الآية السّابقة بالتّكرارِ اللّفظيِّ؛ لتني التَّعجيب والاستنكار، والإحاطة بصوره ترهيبًا وتخويفًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضُحٗى﴾: (ضحى) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على بروز الشّيءِ، وهو الوقتُ البارزُ المنكشفُ[2]. ومنه: أضحَى الشَّيءَ: أظهرَه، وأبداه[3]. والضَّحوُ: ارتفاعُ النّهار. والضُّحى: فويق ذلك. والضّحاء – ممدود – إذا امتدَّ النّهار[4]، وقيل: الضّحى: حين تطلُعُ الشّمس، وتشرقُ، فيصفو ضوؤُها، وقيل: هو إذا علتِ الشّمسُ إلى رُبع السّماء فما بعده[5]. وقيل: هي انبساطُ الشّمس وامتدادُ النّهار، وسمّي الوقتُ به[6].

وخلاصة ما قيل في الضّحى: إنَّها انكشافُ الشّمس وانبساطُ الضّوءِ انبساطًا شاملًا بلا ساتر، والّذي جاء في القرآن الكريم من هذا التّركيب كلِّه هو ضحى الشّمس الّذي ذُكِرَ، ووقتُه[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/13.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضحى).
(3) ابن سيده، المحكم: (ضحو).
(4) الفراهيديّ، العين: (ضحو).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (ضحا).
(6) الرّاغب، المفردات: (ضحى).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضحو - ضحى).

2) ﴿يَلْعَبُونَ﴾: (لعب) كلمتان منهما تتفرَّعُ كلماتٌ؛ إحداهُما: اللّعِبُ المعروفُ، والأخرى اللُّعابُ: ما يسيلُ من فمِ الصّبيّ[1]. واللَّعِبُ ضدُّ الجِدِّ[2]. ولعب فلانٌ: إذا كان فعلُه غيرَ قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا[3]. وخلاصةُ معنى اللّعبِ: أنّه اضطرابٌ وتسيّبٌ في ما يصدرُ عنِ الشّيء بسبب تجمّعِ حيويّتِه أو نشاطِه، كلُعاب الصّبيِّ من غزارة حيويّة باطنه، وهو اضطرابٌ وعدمُ انضباط، ومنه أُخذَ اللَّعِبُ ضدّ الجِدّ، وهو تسيُّبٌ في الحركة، واضطرابٌ؛ أي: عدمُ استقامةٍ، أو عدمُ قصدٍ في الاتّجاه والتّصرّف، وهذا يؤكّدُ أنَّ في اللّعب معنى العبثيّة الّتي هي عدمُ القصد والجدوى، ومنه قيل: لكلِّ مَن عمل عملًا لا يجدي عليه نفعًا: إنّما أنت لاعبٌ[4].

❁ المعنى الإجماليُّ:

تقريرُ الاستنكار، وتكرارُ التّعجيب

الآية تأكيدٌ، وتعجيبٌ مصحوبٌ بالتّقريع من أن يَشغَلَكُم اللّهو عن عظامِ النّوازلِ، والأخذِ بحبال الهدايةِ، وأسبابِ الرّشادِ والدّرايةِ؛ استخفافًا واستهزاءً، فيأتيكم العذابُ وقت غفلتِكم، وانشغالِكم بِلَهْوِكُم مع ارتفاع ضوءِ الشّمسِ نهارًا.

وقَد يكون المرادُ خوضَهم في كفرهم؛ لكونه لعبًا أيضًا يَضرُّ ولا ينفعُ[5]؛ إذ يُقال لكلّ مَن كان في شيءٍ لا يُجدي، أو في ضلالٍ: (إنّما أنت لاعبٌ)، فشرُّ قلوبِ الخلقِ هو القلبُ اللّاهي الغافلُ الجاحدُ لآلاء اللّه، المُكذِّبُ برسلِه[6] ﷺ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعب).
(2) ابن سيده، المحكم: (لعب).
(3) الرّاغب، المفردات: (لعب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لعب).
(5) الهرريّ، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان: 10/22.
(6) شيبة الحمد، تهذيب التّفسير وتجريد التّأويل: 5/242.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ التّكرارِ في الآية:

إرادةُ التّوبيخِ الشّديدِ، ودفعٌ لتوهُّمِ إمكانِ ردِّ العـذابِ، وهم أيقاظٌ

تكرّرَ لفظُ ﴿أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ تكرارًا لفظيًّا لما في ذلك منَ التّسميعِ والإبلاغِ والتّهديدِ والوعيدِ بالسّامع ما لا يكون في الضّمير لو جاء: (أو أمنوا)؛ فإنّه متى قصدَ التّفخيمَ والتّعظيمَ والتّهويلَ جيءَ بالاسم الظّاهرِ[1]، وفيه إنكارٌ بَعدَ إنكارٍ للمبالغة في التّوبيخِ الشّديدِ، ولذلك لم يقُل: (أو ضحًى وهم يلعبون)[2]، كما قال في: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: 4]، فالسّياقُ في تلك الآيات يناسبُ مقامَ التّفصيلِ؛ تفصيلِ القَصَصِ، ومضامينِها، وسياقُ مُفتتحِ الأعراف الإجمالُ، ويناسبُ التّفصيلَ التّكرارُ بالتّوكيد اللّفظيّ.

وفيه دفعُ توهّمِ مَن يدّعي - جاهلًا - أنّ البأسَ لو جاءَهم، وهم أيقاظٌ؛ لأمكَنَ أن يدافعوا، فأكّدَ مُفصِحًا عن إمكان اجتماعِ الوقتين أو انفرادِهما، فإنّه لا فرقَ عندَه في ذلك[3]، عَزَّ وَجَلَّ وتعالى عمّا يدَّعون.

مـقـامُ الـوعـيـدِ يقتضي التَّنبيهَ بالإعادة

والمقامُ كذلك مقامُ تهديدٍ ووعيدٍ واستثارةٍ لمخاوف أهلِ القرى، فاقتضى هذا المقامُ إعادةَ ألفاظٍ كان يمكن فهمُ معناها بدون إعادتها؛ لأنّ هذه الإعادةَ هي بمنزلةِ الدَّقاتِ المتواليات الّتي تثيرُ الانتباهَ بسبب مخالفتِها لما يقتضيه المألوفُ في الأسماع.

توجيهُ قراءةِ العطفِ بـ(أَوَ):

فـي الـعـطـف وجـهُ إبـاحـةٍ، أو تـخـيـيرٍ، أو إضـــرابٍ؛ بمعنى: استواءِ ضروبِ العذابِ

قرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائيّ: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بفتح الواو وإظهار الهمزتين بإدخال ألف الاستفهام على حرف العطف، وقرأ ابنُ كثير ونافع وابن عامر: (أَوْ أَمِنَ) بسكون الواو وإظهار الهمزتين على أنّه عطفٌ بـ(أو)، والّتي هي لأحد الشّيئين، المعنى: أفَأمِنوا هذا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/351.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/254.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/74.

أو هذا، كما تقول: أجاءَ زيدٌ، أو عمرو، فيعمُّ الإباحةَ، كقوله تعالى مثلًا: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24]، والتّخيير كقولك: جالِسِ الحسنَ، أو جالِسِ ابنَ سيرين[1]، أو تكون (أو) للإضراب عمّا قبلها من غير إرادةِ إبطالِ الأوّلِ، والمعنى: استواء هذه الضّروبِ منَ العذاب، ويكون المعنى: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات[2].

في الجمع بين القراءتين مُؤدَّى تعاقبِ إنكارين، وتعجيبٍ من أحد الحالين

والجَمعُ بين القراءتين يؤدّي معنى العطفِ مع الإباحة بعلاقةٍ تفسيريّةٍ تتضمّنُ إنكارًا بعدَ إنكار، فالعطفُ بسكون واو (أو) عطفٌ على التّعجيب؛ أي: هو تعجيبٌ من أحد الحالين، والمعنى: أأمنوا ذلك الإتيان أو هذا؟ وهو لا يمنعُ الجمعَ بين الأمنين؛ أي: إنْ أمنتم ضربًا منها لا تأمنوا الآخر، أمّا العطفُ بالواو مقدَّمةٌ عليه همزةُ الاستفهامِ الإنكاريِّ فهو عطفُ استفهامٍ ثانٍ بالواو المفيدة للجمع، فيكون كلا الاستفهامين مدخولًا لفاء التّعقيب[3].

في عود الاستفهام قصدٌ إلى التّفخيم والتّعظيم والتّهويل

وأُعيدَ الاستفهامُ، وما يتعلَّقُ به لنكتةِ وضعِ المظهرِ موضعَ المُضمَرِ؛ إذ متى قصدَ التّفخيمَ والتّعظيمَ والتّهويلَ؛ جيءَ بالاسم الظّاهر، وفيه حمل وسطِ الكلامِ على ما قبلَه، وما بعدَه من حيث دخولُ همزةِ الاستفهامِ على الفاء لغَرَض المشاكلة، والمطابقة في اتّفاق اللّفظِ بدخول الهمزة على الكلّ، أو تكون الواو للتّقسيم؛ أي: تقسيم الاستفهامِ إلى استفهامين[4].

ولا شكَّ أنَّ تأديةَ معنيين فيه سَعَةٌ وقوّةٌ أكبرُ من تأدية معنًى واحدٍ؛ إذ في كليهما إعجازٌ قرآنيٌّ تنوعّتِ فيهِ الأساليبُ، واتّفقتِ المعاني.

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 2/433، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/253 - 254.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/322.

(3) رضا، تفسير المنار: 9/25، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/23، وفاتنة السّكنيّ، تفسير القرآن بالقراءات القرآنيّة العشر، ص: 249 - 250.

(4) رضا، تفسير المنار: 9/25، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/23، وفاتنة السّكنيّ، تفسير القرآن بالقراءات القرآنيّة العشر، ص: 249 - 250.

سرُّ التّعبير باسم الفاعل، والفعل المضارع:

صبيانيّةُ العقولِ مظنّةُ الغفلةِ ودَوامِ اللّهو واللّعب

لمّا كان النّومُ شيئًا واحدًا يغمرُ الحواسَ، ويفضي إلى الاستقرار، عبَّر بالاسم الدّالّ على الثّبات فقال: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾، فهم من أهل النّومِ والغفلةِ، وهو وصفٌ مُلازمٌ لهم لدوامِهم عليه، ولمّا كانتِ اليقظةُ موجبةً للحركة؛ عبَّر بالمضارع في قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: يتجدَّدُ لعبُهم شيئًا فشيئًا في ذلك الوقتِ، وفيه تقريعٌ لهم على طريقة (الكناية) بنسبتِهم إلى أنّهم صبيانُ العُقولِ، لا التفاتَ لهم إلى غيرِ اللّعبِ[1].

فالاسمُ يقتضي الثّبوتَ؛ والنّائمُ ساكنٌ، والفعلُ يقتضي التّجدّدَ؛ واللّعبُ حركةٌ تتجدّدُ شيئًا فشيئًا[2].

جملةُ الفاصلة بين المجاز والاستعارة:

هؤلاء القوم بين لاهٍ لغفلته، أو مُشتغلٍ بما لا نفعَ فيه

يجوزُ في جملة: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أن يكون مجازًا مُرسَلًا؛ أي: يلهون من فرط الغفلةِ، ويحتملُ أن يكون هناك استعارةٌ؛ أي: يشتغِلون بما لا نفعَ فيه؛ كأنّهم يلعَبون[3].

بلاغةُ الطّباقِ في الآية:

لا يردُّ بأسَ اللّه تعالى قومٌ نائمون أم صاحون، لاعبون أم جادّون

خصَّصَ الإتيانَ بزمني الضّحى والبيات على طريقة الطّباق دون غيرهما؛ تعبيرًا بالبيات عن زمن سكونِهم، وهم فيه في غاية الغفلةِ، وبالضّحى عن زمن اجتماعِهم فيه؛ لأنّهُ أوّلُ ظهورِهم وبعدَه يتفرّقون في أشغالهم، أو هو الوقتُ الّذي يغلبُ على المرء فيه التّشاغُلُ باللّذّاتِ، أو التّشاغلُ بأمور الدّنيا، فهي لعبٌ ولهوٌ، أو التّشاغلُ بما لا ينفعُهم كأنّهم يلعبون، ويحتملُ خوضَهم في كفرهم؛ لأنّ ذلك كاللّعبِ في أنّه لا يضُرُّ ولا ينفَعُ[4]، فكلٌّ منَ الوقتين لم يقع في فكر أحدٍ منهم التّصويرُ إلى مدافعته[5].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/74 - 75.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/237.

(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/12.

(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/322، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/237، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/254.

(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/8.

وقيَّد التّعجيبَ من أمنهم مجيءَ البأسِ بوقتي البيات والضّحى من بين سائر الأوقات، وبحالي النّوم واللّعب من بين سائر الأحوال؛ لأنّ الوقتين أجدرُ بأن يُحذرَ حلولُ العذابِ فيهما، لأنّهما وقتان للدّعة، فالبياتُ للنّوم بعدَ الفراغِ منَ الشُّغل، والضُّحى للعب قبل استقبالِ الشُّغلِ، فكانَ شأنُ أولي النُّهى المُعرِضين عن دعوة رسلِ اللّه ألّا يأمنوا عذابَه، بخاصّةٍ في هذين الوقتين والحالين[1].

وقتا البيات والضّحى، والنّوم واللّعب مظنّةٌ للدّعة، ولذا يجدُر الحَذَرُ فيهما

بلاغةُ التّعريض:

وفي هذا التّعجيب تعريضٌ بالمشركين المُكذِّبين للنّبيّ ﷺ أن يحلَّ بهم ما حلَّ بالأمم الماضية، فكان ذكرُ وقتِ البيات، ووقتِ اللّعب، أشدَّ مناسبةً بالمعنى التّعريضيِّ؛ تهديدًا لهم بأن يصيبَهم العذابُ بأفظع أحواله؛ إذ يكون حلولُه بهم في ساعة دعتهم وساعة لهوهم نِكايةً بهم[2].

لا يأمنَنَّ مُكذِّبٌ بالنّبيّ محمّد ﷺ أن يحلَّ به ما حلَّ بأولئك الكافرين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/23.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/23.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»